PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

٢

معرفة النبوة

استاذ ناصر مكارم الشيرازي

جعفر صادق الخليلي

Makārim Shīrāzī

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

القسم الثانى

معرفة النبوة

مدرسة الامام علي بن ابي طالب
مؤسسة البعثة

(Arab)
BP166
.M342
1986
glsm 2

سلسلة الدورس الدينية فى العقائد الاسلامية
القسم الثانى : معـرفة النبوة
الاستاذ ناصر مكارم الشيرازي
جعفر صـادق الخليلي
قسم الاعلام الخارجي
الطبعة الاولى : ١٤٠٧هـ
ايران ـ طهران ـ شارع سمية ـ موسسة البعثة
تلفن ٨٢١١٥٩

[redacted]

ff-85565-1

مقدمة الناشر

ان الاصول العقائدية في البحوث التي تهم الجميع تتميز بخصوصية خاصة ، اذ ان لكل امرئ ، بموجب الادلة العقلية والفطرية، ميوله النفسية والمعنوية نحو هذا الاتجاه لذلك يكون من الضروري طرحها على المستوى العام بين الناس .

ثم ان المجتمعات الاسلامية التي تتمسك باصول عقائدها ،قد تواجه الكثير من المشكلات اذا ماجوبهت باصغر الشكوك والشبهات ،وذلك لعدم تأصل تلك العقائد في نفوسها تأصلا يستند على الاستدلال المنطقي في اثباتها .

اننا نؤمن بان اصول العقائد الاسلامية يجب ان تنشر

بمختلف لغات العالم وعلى مختلف الاصعدة والمستويات .

ان هذه مجموعة العقائد الخمس التي جاد بها علم آية الله ناصر مكارم الشيرازي تمتاز بتلك الخصوصية الخاصة فهي مع استنادها على الاستدلال العقلي .تتميز ببساطة سهلة تجعلها في متناول عامة الناس وخاصتهم .

اننا نتوجه الى الله بالشكر على ان وفقنا لتقديم الترجمة العربية لهذه الدورة العقائدية الى جيلنا الناطق بالعربية .

ونود بالمناسبة ان نحيط القارئ علما بان ترجمة هذه الدورة الى الانجليزية قد خرجت من المطبعة ،والعمل جار في الوقت نفسه لطبعها باللغات التركية الاسطنبولية والفرنسية والاسبانية وبالاوردية . بعون الله تعالى ،راجين منه مزيدا من التوفيق .

قسم الاعلام الخارجي في مؤسسة البعثة

الدرس الاول

حاجتنا الى القادة الالهيين

قصور علمنا

قد يتساءل بعضهم : أمن الضروري ان يبعث اللّه الانبياء كي يهدوا الانسان ؟ ألايكفي عقلنا وحكمتنا لادراك الحقائق ؟ ألا يساهم تقدم العلوم عند البشر في كشف الاسرار الغامضة وتوضيح الحقائق جميعها ؟

ثم ان مايأتي به الانبياء لايخرج عن حالتين اثنتين :فامّا ان يدركه عقلنا ، وإما انه لايدركه .

ففي الحالة الاولى، لاحاجة بنا لتجشم الانبياء هذا العناء، وفي الحالة الثانية ، لايمكننا ان نتقبل امورا هي خلاف مايراه عقلنا .

ثم من جهة اخرى،هل يصح ان يضع الانسان نفسه تحت تصرف شخص آخر كليا ويطيع أوامره بغير اى اعتراض ؟ او ليس الانبياء بشراً مثلنا ؟ فكيف نضع انفسنا تحت تصرف انسان لايختلف عنا بشيء؟

للاجابة عن هذه الاسئلة لابد من الاخذ بنظر الاعتبار النقاط التالية التي سوف تبين اهمية الانبياء في نظام حياة البشر :

١ـ علينا ان ندرك ان علمنا قاصر ومحدود ، فعلى الرغم من كل هذا التقدم العلمي الذي حققه الانسان في مختلف ميادين العلوم ،فان مانعلمه بالنسبة لما لانعلمه لايكاد يبلغ مقدار قطرة الماء بازاء البحر ، اوبازاء الجبال ، او كما قال احد كبار العلماء: ان كل مانعلمه اليوم لايزيد على الالف باء في كتاب عالم الوجود العظيم .

وبعبارة اخرى ، ان المساحة التي يحكمها عقلنا وادراكنا مساحة صغيرة تضئوها اشعة العلم ، اما ماهو واقع وراء ذلك فلا علم لنا به اطلاقا . فيأتي الانبياء ليلقوا لنا الضوء على مناطق اوسع بالقدر الذى نحتاجه . صحيح ان عقلنا اشبه بكاشف قوي النور ، ولكن الانبياء بما يأتون به من الوحي الالهي يكونون اشبه بالشمس التي تسطع على الكائنات.أفهناك من يقول : مادمنا نملك هذا الكاشف القوي ، فما حاجتنا بالشمس ؟

وبتعبير اوضح نقول ان امور الحياة يمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام :

" المعقول " و " غير المعقول " و " المجهول " .

والانبياء لايمكن ان يقولوا شيئاً " غير معقول " وخلافاً لما يقول به العقل وتحكم به الحكمة ، فاذا قالوا فهم ليسوا انبياء . انما الانبياء يعينوننا على ادراك المجهولات ،وهو امر مهم لنا .

وعليه ، فان الذين كانوا يقولون : اننا بوجود العقل والحكمة لانحتاج الى انبياء (مثل الطائفة البرهمية في الهند

وفي اماكن اخرى) ، او الذين يقولون اليوم : مع العلم وانجازاته وانتصاراته العلمية ،لم تعد حاجة الى الانبياء وتعليماتهم.كلاهما لم يعرفا حدود العلم عند البشر ،ولارسالة الانبياء الإلٰهية .

هذا يكون اشبه بالصبي الذي درس الحروف الهجائية في المدرسة ثم قال انه اصبح عالماً بكل شيءولم يعد بحاجة الى المعلم والاستاذ .

ثم ان الانبياء ليسوا مجرد معلمين ،فان مركزهم كقادة له حكاية قائمة بذاتها سوف نتناولها بالشرح ان شاء اللّٰه .

٢ـ لم يقل احد ان على المرء ان يضع نفسه كلياً تحت تصرف شخص آخر مثله ، فالكلام هنا على الانبياء الذين ينطقون عن الوحي الالهي ، فعلينا ان نتأكد من ارتباطهم بعلم اللّٰه اللامتناهي عن طريق الادلة الدامغة.ففي هذه الحالة وحدها يمكن ان نتقبل اقوال هؤلاء القادة الربانيين بمجامع قلوبنا . اذا انا عملت بحسب ارشاد طبيب ماهر ،فهل اكون قد ارتكبت عملاً مرفوضاً ؟

ان الانبياء اطباء روحانيون عظام !

فاذا انا استوعبت درس معلم ينسجم مع عقلي وفكري ،فهل اكون قد أخطأت ؟

ان الانبياء معلمون كبار !

يحسن بنا ان نبحث ادلة ضرورة ارسال الانبياء من قبل اللّٰه.

ان هناك ثلاثة ادلة حية تؤكد حاجتنا الى هداية الانبياء:

١ـ الحاجة الى التعلم.

لواننا امتطينا سفينة خرافية متخيلة مصنوعة من امواج النور ، تنطلق بسرعة ثلاثمائة الف كيلو متر في الثانية في هذا الفضاء اللامتناهي. فاننا سوف نحتاج الى الآلاف من مثل عمر نوح حتى نستطيع ان نستكشف زاوية من هذا الكون المترامي الاطراف

السحيق .

ان هذا الكون باتساعه المخوف لابد انه لم يخلق عبثا .لقد علمنا من دروس " معرفة اللّه " ان خلق هذا العالم لاينفع اللّه بشيء، لانه كامل ، وغير محتاج ،ولانهاية له ، فليس به نقص لكي يسعى لسدّه عن طريق خلق العالم والبشر .

نستنتج من هذا ان هدفه هو ان يفيض على البشر من جوده ورحمته ، ليوصل الكائنات الاخرى الى التكامل ،كالشمس التي تشرق بنورها على اهل الارض بغير ان تكون محتاجة اليهم ، بل انما نحن الذين نحتاج الى ضوئها ، وإلاّ فما الذي نستطيع ان نفعله لصالح الشمس ؟

ثم ، من جهة اخرى ، أتكفي معلوماتنا وحدها للسير بنا في طريق التكامل وايصالنا الى مرحلة الانسان الكامل من جميع الوجوه ؟

تُرى كم نعرف من اسرار العالم ؟ ماهي حقيقة الحياة ؟متى وجد هذا العالم ؟ ان احدا لايعرف الجواب القاطع عن هذه الاسئلة.

حتى متى سنبقى ؟ لااحد يعرف الجواب كذلك .

ومن حيث الحياة الاجتماعية والاقتصادية كل عالم من علماء البشر له راى اونظرية .

فبعض يوصون بالرأسمالية ،وفريق آخر يرتأون الاشتراكية والشيوعية ،وآخرون يرفضون هذا وذاك كليهما .

وفي مسائل الحياة الاخرى تجد مثل هذا الاختلاف قائماً وبكثرة ويصاب الانسان بالحيرة ، ترى أيها يختار ؟

هنا لابد لنا من ان نعترف باننا ، لكي نصل الى هدف الخلق الأصيل ، وهو" نمو الانسان وتكامله وتربيته على جميع المستويات" ، نحتاج الى مجموعة من التعليمات الصحيحة والسليمة

والخالية من كل خطأ ، والمستندة الى حقائق الحياة الواقعية، تمكّن الانسان من السير في الطريق الطويل الموصل الى هدف الخلق الاصيل .

وهذا لايكون الا عن طريق العلم الإلٰهي ،أي الوحي السماوي الذي ينزل على الانبياء . ولهذا فان اللّٰه الذي خلقنا لكي نسير في هذا الطريق لابد له ان يتيح لنا مثل هذا العلم وهذه المعرفة.

٢ــ الحاجة الى القائد اجتماعياً واخلاقياً:

ان فينا ، كما نعلم ، اضافة الى العقل ، غرائز وميولاً قوية ،مثل غرائز حب الذات ،والغضب ،والجنس ،وغرائز اخرى كثيرة .

لاشك اننا اذا لم نكبح جماح غرائزنا وتركناها تسيطر علينا ،فان عقلنا سيكون مقيدا محجورا عليه ،ويتحول الانسان الى مثل جبابرة التاريخ وطغاته واشد خطرا من ذئاب الصحارى المفترسة.

لذلك فنحن بحاجة الى التربية الاخلاقية على يد مرب ،والى " الأسوة " الذي علينا ان نحاكيه في الاقوال والافعال ونحذو حذوه .

ان أسوة كهذا يجب ان يكون ذا تربية كاملة من جميع الجهات بحيث يستطيع ان يأخذ بيدنا في هذا الطريق الكثير المنعطفات وينقذنا من طغيان غرائزنا ،ويزرع في نفوسنا اصول الفضائل والاخلاق باعماله واقواله ، ويربينا على الشجاعة،وحب بني البشر ،والمروءة ، والتضحية ،والوفاء ،والصدق ،والامانة، وطهارة الروح .

فمن الحقيق بأن يكون هذا المربي والقائد غير نبي معصوم؟ ولهذا فان اللّٰه القادر الرحيم لايمكن ان يحرمنا من امثال هؤلاء الانبياء المربين الهداة .

(ستأتي بقية هذا البحث في الدرس القادم)

* * *

فكر وأجب :

١- اذا ازددنا علماً ومعرفة فهل تظن ان معلوماتنا تفوق مجهولاتنا ؟ مثّل لذلك .

٢- أتستطيع ان تبين الفرق بين التقليد الأعمى واتّباع الانبياء ؟

٣- اذا سرنا على طريق مجهولة بدون هاد يهدينا ، فما الاخطار التي قد تهددنا ؟

٤- بين ابعاد حاجتنا الى قيادة الانبياء .

٥- ماالموضوع الذي تظن انه بقي الى الدرس القادم في هذا البحث ؟

* * *

الدرس الثاني

الحاجة الى الانبياء كمشرعين

في الدرس السابق ادركنا الحاجة الى الانبياء من حيث "التربية" و "التعليم". والآن جاء دور القوانين الاجتماعية والدور المهم الذي يضطلع به الانبياء بهذا الشأن.

انا نعلم ان اهم سمة تتسم بها حياة الانسان، والتي تعد أهم عامل في تقدم الانسان وانجازاته في مختلف ادوار حياته، هي الحياة الاجتماعية.

لو ان الانسان بقي يعيش منفصلا عن اخوته لكان الآن باقيا على مستواه الفكري والحضاري المنحط الذي كان عليه انسان العصر الحجري.

نعم، ان المحاولات والمساعي الجماعية هي التي اوقدت مشعل الثقافة والحضارة، وهي التي كانت الدافع الى بلوغ كل هذه الاكتشافات والاختراعات العلمية.

خذ مثلا الوصول الى القمر، تجد ان هذا الانجاز كان حصيلة

عمل عدد من العلماء ، بل الآلاف منهم تضافرت جهودهم على مدى آلاف السنين ، في البحث والتجربة . وماكان هذا ليتم لولا الحياة الاجتماعية التي تراكمت فيها الخبرات والمعارف لحتى حققت هذا الانجاز العظيم .

اواذا نجح طبيب حاذق في عصرنا في ،زرع قلب انسان ميت في صدر انسان حي ذى قلب مريض ، فانقذه من موت محقق ، فانه يكون مدينا بنجاحه الى آلاف التجارب السابقة التي اجراها آلاف الاطباء والجراحين انتقلت على امتداد التاريخ من طبيب الى طبيب حتى وصلت اليه

غير ان للحياة الاجتماعية مشكلاتها الى جانب محاسنها الكثيرة ، كتضارب المصالح والرغبات والحقوق ،مما يؤدي احياناً الى اندلاع نيران المصادمات الدموية والحروب الطاحنة .

هنا تظهر حاجتنا الى القوانين والتعليمات الواضحة التي تحل لنا ثلاث مشكلات كبيرة :

١ـ القانون يحدد واجبات كل فرد نحو المجتمع ،وواجبات المجتمع نحو الافراد ، بحيث تنفتح المواهب ضمن مساع متعاونة

٢ـ القانون يمهد طريق الإشراف على حسن اداء الافراد واجباتهم .

٣ـ القانون يحول دون قيام الافراد بالاعتداء على حقوق الآخرين ، ويمنع انتشار الفوضى والتضارب بين الافراد والجماعات، ويقرر العقوبات المناسبة على المعتدين .

من هو خير المشّرعين ؟

في هذه الحالة يتعين علينا ان نعرف من هو افضل شخص

يستطيع ان يسن القوانين التي تتطلبها حياة البشر الاجتماعية، بحيث تتحقق فيها المبادئ الثلاثة المذكورة : بيان الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع، والاشراف السليم على تنفيذ القوانين، ووقف عدوان المعتدين .

ولنضرب هنا مثلا بسيطاً :

يمكن ان نشبه المجتمع البشري بقطار كبير ،والهيئة الحاكمة بماكنة القطار والتي تحرك القطار في مسيره ، والقانون بمثابة السكة الحديد التي تعين الخط الذى يجب ان يسير عليه القطار كي يصل الى غايته ،ماراً بالمنعطفات والمرتفعات والمنخفضات والجبال والوديان .

لاشك ان السكة الحديد الجيدة يجب ان تتوفر فيها الامور التالية :

١ الارض التي تمتد عليها السكة يجب ان تكون صلبة تتحمل اقصى ضغط يمكن ان يسلط عليها .

٢ الفاصلة بين الخطين يجب ان تكون متساوية على امتدادهما بدقة متناهية بحيث تساوى الفاصلة بين عجلات القطار . كما ان جدران الانفاق وارتفاعاتها يجب ان تناسب القطار الذى يمر بها .

٣ الارتفاعات والانحدارات يجب ان لاتكون حادة الى درجة لاتستطيع معهما الماكنة سحب القطار ،اوايقافه عند اللزوم .

ثم هناك احتمالات الانهيارات الجبلية وتهاوي أحفة الوديان التي يمر بها القطار ،وكذلك السيول والثلوج الساقطة، يجب ان تؤخذ كلها بالحسبان الدقيق لكي يستطيع القطار ان يواصل مسيرته في مختلف الظروف والحالات ،وان يصل هدفه بسلام .

نعود الى " المجتمع الانساني " لتطبيق هذا المثال عليه :

ان المشرّع الذى يريد ان يضع خير القوانين للبشر يجب ان

تتوفر فيه الشروط التالية :

١- ان يكون عارفاً معرفة تامة بالبشر ، بغرائزهم ، وعواطفهم ، وحاجاتهم ، ومشكلاتهم وكل مايتعلق بهم .

٢- ان ياخذ بنظر الاعتبار جميع مؤهلات الناس واستعداداتهم ومواهبهم لكي يستخدم القوانين في سبيل تفتحها وازدهارها .

٣- ان يكون قادراً على التنبؤ بما يمكن ان يقع في المجتمع من حوادث وبطرق مواجهتها على افضل وجه .

٤- ان لاتكون له اية مصالح شخصية ولا لأي من اقربائه والمختصين به .

٥- ان يكون عارفا بكل ماحققه الانسان في تقدمه ، وما اصابه من احباط واخفاق .

٦- ان يكون في اقصى درجة من العصمة ضد الخطأ والنسيان.

٧- واخيرا ،على هذا المشرع ان يكون شجاعاً وجريئاً ،فلا ترهبه أية قوة ولا شخصية في المجتمع ،ولايخشى احداً ابدا ،على ان يكون ، في الوقت نفسه ، على قدر كبير من المحبة والعطف .

من الذي تتوفر فيه هذه الشروط؟

هل يكون الانسان افضل مشرّع ؟

أهناك من عرف الانسان حتى الآن معرفة تامة ؟ كتب احد كبار العلماء المعاصرين مؤخراً كتاباً عنوانه "الانسان،هذا الكائن المجهول" .

هل عرفت نفسية الانسان وغرائزه وميوله وعواطفه معرفة تامة حتى الآن ؟

هل يمكن العثور بين الناس على شخص لاتكون له مصالح

خاصة في المجتمع ؟

أهناك بين الناس العاديين انسان يكون مصوناً من كل خطأ ونسيان ، وله معرفة تامة بجميع مشكلات المجتمع البشري وأفراده ؟

اذن ، لن تجد بين الناس العاديين من تتوفر فيه الشروط المطلوبة ، لذلك ليس سوى اللّه ، وذاك الذى يتلقى وحيه ، من يمكن ان يكون افضل مشرّع لبني البشر .

وهكذا نصل الى هذا الاستنتاج : ان اللّه الذي خلق البشر ليسيروا في طريق التكامل ، لابدأن يبعث اناساً يأمرهم بهداية البشر نحواللّه ، ويبين لهم شريعة السماء الالهية الجامعة والشاملة .

ولاريب ان الناس اذا علموا ان الشريعة التي بين ايديهم نازلة من اللّه ، فانهم يطبقونها بكل ثقة واطمئنان ، أي ان علمهم بذلك يضمن تطبيق القوانين تطبيقاً لائقاً .

العلاقة بين التوحيد والنبوة:

هنا ينبغي ان نلتفت الى هذه النقطة ، وهي ان نظام الخلق نفسه خير شاهد حي على ضرورة وجود الانبياء ورسالاتهم الالهية.

وذلك لان نظرة واحدة الى نظام الخليقة العجيب تدلنا على ان اللّه تعالى لم يغفل بلطفه عن تأمين أي حاجة من حاجات الانسان فهو عندما خلق العين لكي ننظر بها، خلق معها الاجفان والأهداب للحفاظ عليها ولتنظيم سقوط الضوء عليها .

وخلق في زوايا العين غددا تفرز الدموع لكي يبقى سطحها رطبا دائما ، اذ ان جفافها يذهب بها .

وفضلا عن ذلك خلق في العين نافذة صغيرة تسيل خلالها الدموع الزائدة الى الانف ، ولولا هذه النافذة الصغيرة لاستمرت

الدموع تسيل على وجوهنا .

ويمنح بؤبؤ العين من الحساسية الشديدة بحيث انه يتأثر بشدة الضوء وضعفه فيضيق ويتسع تبعا لذلك بصورة لاارادية لكيلا يصيب العين ضرر من جراء شدة الضوء .

وفي اطراف كرة العين عضلات مختلفة تسهل عليها الدوران الى الجهات المختلفة بغير حاجة الى إدارة الرأس والجسم .

فهل الله الذي لايغفل عن حاجات الانسان الدقيقة هذه يمكن ان يحرم الانسان من هاد وقائد موثوق به ومعصوم من الخطأ ويأتمر بأوامر الله ووحيه ؟

يقول الفيلسوف المعروف ابن سينا في كتابه " الشفاء" المشهور :

" لاشك ان حاجة الانسان الى ارسال الانبياء اليهم لبقاء النوع ولبلوغ الكمالات اشد ضرورة من نمو الأهداب والحواجب وتقعر باطن القدم وامثالها ،وذلك لأنه ليس من الممكن ان يوجب الله سبحانه وتعالى تلك الامور ولايوجب هذا الامر .

* * *

فكر وأجب:

١ـ ماهي اعظم مميزات حياة البشر ؟

٢ـ لماذا لايمكن للانسان ان يعيش بغير قانون ؟

٣ـ هات مثلا أحياً لتوضيح دور القانون في حياة البشر .

٤ـ ما الصفات التي يجب ان يتحلى بها أحسن مشرع ؟

لماذا يجب ان يكون الانبياء من البشر ؟

* * *

الدرس الثالث

لماذا الانبياء معصومون ؟

الصيانة من الإثم والخطأ

لابد لكل نبي ان يكون موضع ثقة عموم الناس قبل كل شيء بحيث لايجدون في كلامه أي احتمال للكذب والخطأ والتناقض . اذ ان مركزه سوف يتزلزل في غير هذه الحالة .

اذا لم يكن الانبياء معصومين فان الباحثين عن الاعذار سوف يحتجون بكونهم معرضين للخطأ ،كما ان الباحثين عن الحقيقة يتزعزع ايمانهم بصحة محتوى دعوتهم ،فيرفض الطرفان رسالاتهم ، اوانهم ، في الأقل ، لايكون تقبلهم لها مصحوباً بحرارة الثقة والايمان .

هذا الدليل - الذى يسمى " دليل الاعتماد " - يعتبر من أهم أدلة عصمة الانبياء .

وبتعبير آخر : كيف يمكن ان يأمر اللّه الناس ان يطيعوا شخصاً غير ملتزم ومعرض للخطأ والارتكاب المعاصي؟ لانهم ان اطاعوه فقد تابعوا الخطأ والأثم ، وان لم يطيعوه فقد نسفوا مقامه كقائد ،

خاصة ان مركز قيادة الانبياء يختلف تماماً عن القيادات الاخرى،لان الناس يستقون منهم جميع عقائدهم وبرامج سلوكهم .

ولهذا نجد كبار المفسرين عندما يصلون الى هذه الآية:

" اطيعوا اللّه واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " .[1]

يقولون ان الامر بالاطاعة المطلقة دليل على ان النبي معصوم واولي الامر معصومون ايضاً . وأولو الامر هم الائمة المعصومون مثل عصمة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله ، وإلّا لما امر اللّه باطاعتهم طاعة مطلقة ابداً .

الطريق الآخر لاثبات معصومية الانبياء من كل اثم هو ان " عوامل ارتكاب الاثم في نفوس الانبياء محكوم عليها بالهزيمة" .

اننا اذا راجعنا انفسنا نجد اننا انفسنا نكاد نكون معصومين من ارتكاب بعض الاعمال السيئة اوالقبيحة ، لاحظ المثال التالي :

هل تستطيع ان تعثر على انسان عاقل يفكر في اكل النار، اوا لازبال ، اوالقذارات ؟

هل هناك انسان عاقل يخرج عارياً تماماً ليسير في الطرقات؟

طبعاً لا ، واذا صدر هذا عن شخص لقلنا فوراً انه خارج عن حالته الطبيعية وانه مصاب ببعض الامراض النفسية ،وإلّا فان من المستحيل ان يقدم انسان مالك لقواه العقلية الكاملة على ذلك.

عندما نحلل امثال هذه الاعمال نلاحظ ان قبح هذه الاعمال على درجة من الوضوح في اذهاننا بحيث لايوجد عاقل يرتكبها .

هنا نستطيع بجملة مكثفة ان نجسد هذه الحقيقة ، فنقول : ان كل عاقل وسليم " مصون " من ارتكاب بعض الاعمال القبيحة . وبعبارة اخرى ، انه " معصوم " منها .

ثم نخطو خطوة اخرى فنقول : هناك اشخاص معصومون من ارتكاب بعض الاعمال غير اللائقة التي لايجد الناس العاديون حرجاً في ارتكابها .

فمثلا ، هذا الطبيب العارف بانواع الميكروبات لايمكن ان يقبل الشرب من الماء الملوث الناتج عن غسل ملابس المرضى المصابين بمختلف الامراض الفتاكة ، في الوقت الذي لايجد شخص جاهل امي مانعاً من شربه .

وبتحليل بسيط نستنتج انه كلما كان وعي المرء بالنسبة لموضوع ما اعمق ، كانت " عصمته " ازاء ما ينافي ذلك اكبر .

والآن ،بالاستمرار في هذه المعادلة ،نقول : اذا كان " ايمان" شخص ما و " وعيه " وثقته باللّه وبمحكمته العادلة من العمق بحيث انه يكاد يراها متجسدة امام عينيه وشاخصة امامه، فان شخصاً هذا شانه يكون ، دون ريب ، مصونا من ارتكاب أي ذنب، ويرى كل عمل قبيح كرؤية العاقل الخروج الى الشارع عارياً .

ان المال الحرام في نظر هذا الشخص اشبه بالجمر الملتهب فكما اننا لانضعه في فمنا ،فهو كذلك لايضع المال الحرام في فمه .

نستنتج من جماع هذا الكلام ان الانبياء، بما وهبهم اللّه من علم ووعي وايمان خارق للعادة ،يستطيعون ان يخمدوا صوت كل دافع للعصيان بحيث ان أقوى المغريات لارتكاب الآثام لاتستطيع ان تغلب عقولهم وتضعف ايمانهم . وهذا هو معنى قولنا ان الانبياء معصومون من كل اثم .

العصمة مدعاة للفخر

بعض الذين لايدركون جيداً معنى العصمة وعواملها يعترضون قائلين : اذا كان اللّه هو الذى يحول بين الشخص وارتكاب الاثم ويزيل من كيانه عوامل ارتكاب الذنوب ، فلا يكون هذا مدعاة لفخر هذا الشخص ، اذ ان عصمته من الاثم اجبارية ، والفضيلة الاجبارية لاتكون مفخرة لاحد .

ان جواب هذا الاعتراض قد جاء في الايضاحات التي مبر ذكرها : ان عصمة الانبياء من الاثم ليست اجبارية مطلقاً ، بل هي وليدة ايمان الانبياء القوي الكامل وعلمهم الذي لايدانيه علم،وهذا مدعاة لاعظم الفخر !

اذا قام الطبيب بوقاية نفسه من الامراض السارية، فهل يدل هذا على انه مجبر على ذلك ؟ واذا قام شخص بالتزام قواعد الصحة بدقة تامة ، أفلا يدعو هذا الى اعتزازه وفخره ؟

واذا تجنب حقوقي ارتكاب جريمة مالكونه يعرف العقوبات القاسية التي تحكم بها المحاكم ، فهل يفقد بذلك فضله ؟

وبناء على ذلك ،فان معصومية الانبياء اختيارية ، وهي مفخرة عظيمة من مفاخرهم .

* * *

فكر وأجب:

١- ماهي تفرعات العصمة ؟

٢. ماذا كان سيحدث لو لم يكن الانبياء معصومين ؟

٣- ماحقيقة مقام العصمة ؟

٤- هل تستطيع ايراد امثلة ، غير التي وردت في الدرس

يتصف الناس ، كلهم اوبعضهم ،بالعصمة من ارتكابها ؟

٥ـ هل عصمة الانبياء اختيارية أم اجبارية ؟ ما الدليل على ذلك ؟

* * *

الدرس الرابع

افضل الطرق لمعرفة النبي

لاشك ان تصديق ادعاءات كل مدع يعتبر خلاف العقل والمنطق .

ان مدعي النبوة وحمل رسالة اللّه قد يكون صادقاً ، إلاّان من المحتمل ان يقوم احد الانتهازيين النصابين بادعاء النبوة.لذلك كان لابد من وجود معيار دقيق نزن به دعوات الانبياء وصحة مجيئهم من قبل اللّه .

هنالك طرق عديدة للوصول الى هذه الغاية ،اهمها مايلي:

١ـ دراسة محتوى رسالة النبي ودعوته ،وتجميع القرائن والدلائل .

٢ـ معجزاته الخارقة للعادة .

ولنبدأ اولاً بالكلام على الاعجاز ،فنقول :

ثمة اشخاص يتعجبون من كلمة " معجزة " ، اويعتبرونها مرادفة للخرافات والاساطير .ولكننا اذا دققنا النظر في معنى

المعجزة العلمي لوجدنا ان هذه التصورات خطأ محض .

ليست المعجزة عملا مستحيلا، و لامعلولاً لاعلة له ، بل المعجزة ،بتفسير بسيط ،هي عمل خارق للعادة ومما هو فوق قدرات الافراد العاديين ،و لاتتحقق الا بالاستناد الى قوة فوق الطبيعة .

وبناء على ذلك لاتكون المعجزة الا بشروط :

١- انها عمل ممكن ومقبول .

٢- الناس العاديون ،وحتى النوابغ منهم ،ليس بمقدورهم ان يقوموا بمعجزة باستخدام القدرات البشرية .

٣- لابد ان يكون صاحب المعجزة واثقا من نفسه بحيث انه يتحدى الناس ويدعوهم لمنافسته .

٤- ان لايستطيع أي شخص الإتيان بمثل تلك المعجزة، أي ان يعجز الآخرون عن القيام بمثلها ،كما يفهم من معنى الكلمة.

٥- المعجزة لابد ان تأتي ممن يدعي النبوة او الامامة (ولذلك فان الاعمال الخارقة للعادة التي يأتي بها غير الانبياء والائمة تدعى كرامات ، لامعجزات) .

بعض الأمثلة الواضحة

نعلم جميعا ان من معجزات النبي عيسى عليه السلام احياءه الموتى وابراءه المرضى الميؤوس منهم .

هل هناك أي دليل علمي وعقلي يثبت ان الانسان الذي تتوقف اجهزة جسمه عن العمل والحركة لايمكن ان يعود الى الحياة مرة اخرى ؟

هل هناك دليل علمي وعقلي على ان مرض السرطان الذي عجزنا عن شفائه ليس له في الحقيقة أي علاج ؟

صحيح ان الانسان بما يملكه في الوقت الحاضر من قوى وبما هو فيه من ظروف غير قادر على احياء الموتى و لاابراء بعض الامراض . حتى وان تضافر جميع اطباء العالم واستعانوا بمالديهم من خبرات وتجارب .

إلا ان هذا لايمنع من ان يقوم انسان يملك قوة إلهية خارقة للعادة واطلاعاً وعلماً يستقيان من بحر علم الله اللامتناهي، باحياء ميت ، اوابراء مريض ، باشارة من يده .

العلم يقول : لاادرى .انا عاجز .ولكنه لن يقول ان ذلك مستحيل .

مثال آخر :ان الوصول الى القمر بدون سفينة فضائية غير ممكن لاى انسان . ولكن ماالذي يحول دون ان تكون هناك قوة اكبر مما عندنا من قوة ،ومركبة اكثر تقدماً مما لدى البشر ، توضع تحت تصرف شخص بحيث يتاح له ان يرحل الى القمر اوالى الكرات الاخرى بغير سفينة فضائية والمركبة القمرية .

فاذا استطاع احد ان يقوم حقاً بمثل هذه الامور الخارقة للعادة ، وادعي النبوة وتحدى الناس الى ان يفعلوا مثله ، فعجز الجميع عن ذلك ، عندئذ نؤمن بانه مرسل من قبل الله ، اذ لايمكن ان يضع الله كل هذه القدرة في يد انسان كذاب يدعو الناس الى الضلال ،فتأمل !

المعجزات ليست خرافات

كان " الافراط " و" التفريط " دائماً منشأ الفساد والضياع واخفاء وجه الحقيقة .

وهذا يصدق على المعجزة ايضا . ففي الوقت الذي نجد فيه

بعضاً من " المتنورين " ينكرون صراحة اوتلميحاً كل انواع المعجزات ،نجد بعضاً آخر يصنعون من كل شيء معجزة ، فيبحثون عن الاخبار الضعيفة والقصص الخرافية التي صاغتها أيدي الاعداء ويعرضونها زاعمين انها معجزات ،فيخلطون ملامح معجزات الانبياء العلمية والحقيقية بالخرافات والاوهام المزيفة التي لااساس لها من الواقع . فما لم تتظهر المعجزات الحقيقية من امثال هذه الاساطير ،فان ملامحها الأصيلة لن تظهر للعيان .

لهذا مافتئ علماؤنا العظام يعنون بان تبقى الاحاديث الاسلامية التي تدور حول المعجزات بعيدة عن امثال تلك الحكايات المزيفة المدسوسة .

وبناء على ذلك وضعوا الكتب في " علم الرجال "للتعرف على الرواة الموثوق بهم ،ولتمييز الاحاديث "الصحيحة " من " الضعيفة " ، ولئلا تختلط الحقائق بالاوهام .

ان السياسات الاستعمارية والألحادية نشطة اليوم لجعل الافكار الواهية تقوم مقام العقائد الدينية الطاهرة وتسعى لاظهارها بمظهر " معتقدات غير علمية " . فعلينا أن نحبط مساعي الاعداء التخريبية .

اختلاف المعجزات عن خوارق العادات الاخرى

كثيرا مانسمع عن اصحاب الرياضيات الروحية انهم قاموا باعمال خارقة للعادة ، وان الذين شاهدوا تلك العجائب كثيرون وهذا حقيقة لااسطورة .

هنا يتبادر الى الذهن هذا السوال : ماالفرق بين اعمال هولاء الخارقة للعادة ومعجزات الانبياء ؟ وكيف التمييز بينهما ؟

لهذا السوال اجوبة كثيرة ، اوضحها جوابان :

١ـ هولاء المرتاضون يقومون باعمال خارقة للعادة معينة ومحدودة، أي انهم لايمتثلون لمقترحات المقترحين بالقيام باعمال يطلبها منهم هولاء . انما هم يقومون بما يعرفون هم كيف يجدونه بسبب كثرة التمرين .

وسبب هذا واضح ،اذ ان قوى كل شخص محدودة ، فهو لايستطيع ان يقوم إلّابعدد محدود من الاعمال .

اما معجزات الانبياء فليست لها حدود ولاشروط . فهم قادرون على الإتيان بمعجزة بحسب اقتراح الطالب وفي اى وقت، لانهم يستندون الى قوى اللّه اللامتناهية، وهي التي لاتحدها حدود، بخلاف قدرات الانسان .

٢ـ العمل الذي يقوم به احد المرتاضين يستطيع ان يقوم به مرتاض آخر ، أي انه ليس خارجا عن قدرة البشر . ولهذا فان المرتاض لن يتحدى احدا بطلب المنافسة ، لانه يعلم انه لابد ان يكون في اطراف المدينة شخص اواشخاص قادرون على الإتيان بمثل مايفعل .

أما الانبياء فانهم يتحدون الناس بكل ثقة واطمئنان، قائلين :

لو اجتمع اهل الارض جميعاً على ان يأتوا بمثل مانأتي لعجزوا .

هذا الاختلاف يصدق في " السحر " ايضا ،فالاختلافان اللذان ذكرناهما يحددان الحد بين المعجزة والسحر ايضا ،فتأمل

* * *

فكر وأجب :

١ـ لماذا تسمى " المعجزة " معجزة ؟

٢ـ هل المعجزة استثناء في قانون العلة والمعلول ؟

٣ـ ما الطرق التي بها نستطيع ان نميز المعجزة عن اعمال المرتاضين والسحرة ؟

٤ـ ماهي الشروط الأصيلة في المعجزة ؟

٥ـ هل سبق لك ان شاهدت عملا يشبه المعجزة في حياتك ؟

* * *

الدرس الخامس

اعظم معجزة لنبي الاسلام

يعتقد جميع علماء الاسلام ان القرآن الكريم اعظم معجزات نبي الاسلام . ان افضلية القرآن آتية من كونه .

اولا معجزة عقلية تتعامل مع ارواح الناس وافكارهم .

وثانيا من كونه معجزة خالدة ابدا .

وثالثا من كونه معجزة قد مضى عليها اكثر من اربعة عشر قرنا وهي تتحدى البشر كافة منادية : اذا كنتم تزعمون ان هذا الكتاب السماوي ليس من عند الله فأتوا بمثله . وقد جاء هذا التحدي مرات عديدة في القرآن الكريم :

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " .[٢]

وفي موضع آخر يقول :

" أم يقولون افتريه قل فأتوا بعشر سور مثله

مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين "٠[٣]

ثم يضيف مباشرة قائلا :

" فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله "٠

ثم يسهّل شروط التحدى فيقول :

" وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين "٠[٤]

وفي الآية التالية يقول :

"٠ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين"٠

ان هذه التحديات المتتالية لمواجهة المنكرين ان دلت على شيء فانما تدل على ان اكثر استناد النبي صلى الله عليه وآله كان على اعجاز القرآن ،على الرغم من انه كانت له معجزات اخرى ايضا حسبما ورد في كتب التاريخ ٠

وبما ان القرآن هو المعجزة الحية الموجودة في متناول ايدينا فان بحثنا سيدور عليه اكثر ٠

كيف عجزوا عن قبول التحدي؟

مما يلفت النظر ان القرآن الحف كثيرا على منكريه للنزول الى ميدان المنافسة ، مستعملا تعبيرات مهيجة مثيرة ، لكيلا يبقى عذر لاحد ، تعبيرات مثل " ان كنتم صادقين " و" فان لم تفعلوا ولن تفعلوا " و" لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيرا " و" فأتوا بسورة من مثله " و" فاتقوا النار التي وقودها الناس " .

هذا من جهة ،ومن جهة اخرى لم يكن الصراع بين الرسول الكريم والكفار صراعاً سهلا ، اذ ان الاسلام لم يتهدد مصير دينهم، الذى كانوا اشد مايكونون تعلقا به ، فحسب ، بل كان خطراً على مصالحهم الاقتصادية والسياسية وحتى على كياناتهم .

وبعبارة اخرى ،كان تقدم الاسلام ونفوذه يحيلان حياتهم كلها الى ركام ،لذلك لم يكن امامهم سوى النزول الى ميدان الصراع بكل مالديهم من قوة .

ولكي يجردوا نبي الاسلام من اقوى سلاح عنده ،كان عليهم ان يأتوا ،بايثمن كان،ببضع آيات مثل آيات القرآن لكيلا يتحداهم به بعد ذلك ويعتبرهم جميعا عاجزين امام هذا الدليل القوى على صدقه واحقيته .

فحشدوا لذلك فصحاء العرب وبلغاءهم ،ولكنهم كلمادخلوا الميدان باءوا بهزيمة منكرة ونكصوا على اعقابهم هاربين . وقد جاءت تفاصيل ذلك في كتب التاريخ .

حكاية الوليدبن المغيرة

من بين الذين دعوا لقبول تحدي القرآن كان الوليد بن المغيرة من بني مخزوم ،وكان معروفاً بين العرب بفكره الصائب وحسن تدبيره . فطلبوا منه ان يشير عليهم بتدبير ليرى رأيه في آيات القرآن العجيبة وتأثيرها الشديد في الناس .

فجاء الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وطلب منه ان يقرأ له بعض آيات من القرآن ،فتلى عليه النبي بضع آيات من

سورة " حم " السجدة ، فأثارت هذه الآيات في الوليد انفعالات عارمة بحيث انه انطلق عائدا الى حيث كان بنو مخزوم مجتمعين وقال لهم : والله لقد سمعت كلاما لاهو بشبه كلام البشر ولا كلام الملائكة " وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ".

وشاع في اوساط قريش ان وليداً قد عشق محمداً! فهرع ابو جهل اليه واخبره بما تقول قريش، ودعاه الى حضور مجلسهم، فصحبه الوليد اليهم وقال لهم : اتحسبون ان بمحمد جُنّة ؟ أرايتم عليه منها اثراً ؟ فقالوا : كلا .

فقال : أترونه كاذباً ؟ ألم يشتهر بيننا بالأمانة والصدق حتى سميتموه الصادق الامين ؟

فقال بعض سراة القوم : فماذا ننسب اليه اذن ؟

ففكر الوليد برهة ثم قال لهم : قولوا انه لساحر !

وعلى الرغم من انهم كانوا باطلاق هذه الصفة عليه يريدون ان يبعدوا عنه الناس الذين سحرتهم آيات القرآن، فان اطلاق تعبير " السحر " ليدل دلالة قاطعة على قوة جاذبية القرآن، وانهم اطلقوا كلمة " السحر " على تلك الجاذبية ، وان لم تكن سحراً في الواقع.

فراحت قريش تشيع مقولة الوليد في كل مكان عن ان محمداً ساحر ماهر ، وان الآيات من سحره ، وطلبوا من الناس الابتعاد عنه وان لايستمعوا الى مايقول .

إلا ان خطتهم هذه لم تفلح ، وراح المتعطشون الى الحقيقة المنتشرون في الزوايا والحنايا يفدون على رسول الله صلى الله عليه وآله زرافات ووحداناً ، يرتوون من معين الرسالة الالهية الرائق، ونكص الاعداء على اعقابهم .

واليوم ايضا مايزال القرآن يتحدى العالم بأسره ويطلبهم

للمبارزة ، قائلا : ان كنتم ترتابون في صحة نسبة هذه الآيات الى الله ، وتعتقدون انها من صنع افكار بني البشر ، فلتأتوا بمثلها ، يا ايها العلماء والفلاسفة والادباء والكتاب ، من كل قوم وملة!

وليس خافيا ان اعداء الاسلام ، وبخاصة رجال الدين المسيحيين الذين يعتبرون الاسلام ، كدين ثوري عميق المحتوى ، منافساً خطيراً لهم ، فيصرفون سنوياً ملايين الملايين من الدولارات للدعاوة ضد الاسلام وفي البلدان الاسلامية نفسها تحت واجهات مزيفة من ثقافية وعلمية وصحية ، فما أحراهم ان يطلبوا من العلماء المسيحيين العرب وشعرائهم وادبائهم وفلاسفتهم ان ينشئوا آيات كآيات القرآن إن هم استطاعوا الى ذلك سبيلا ليسكتوا صوت الاسلام .

لاشك لو ان شيئاً كهذا كان ضمن قدراتهم لما توانوا في تحقيقه بأي ثمن كان . غير ان عجزهم في هذا الامر لدليل أسكت الاعداء وبرهان ناطق على اعجاز القرآن .

* * *

فكر وأجب :

١ـ لماذا يعتبر القرآن اهم معجزة من معجزات نبي الاسلام؟
٢ـ كيف يتحدى القرآن اعداءه ؟
٣ـ لماذا اطلق اعداء الاسلام صفة " السحر "على القرآن ؟
٤ـ لماذا يعتبر الاسلام منافساً عنيداً للمسيحية اليوم ؟
٥ـ ماحكاية الوليد بن المغيرة ؟

* * *

الدرس السادس

نافذة على اعجاز القرآن

لم الحروف المقطعة ؟

نلاحظ في اوائل عدد من سور القرآن بعض "الحروف المقطعة"، مثل " ألم " و" ألمر " و" يس ".

تقول بعض الروايات الاسلامية ان واحداً من اسرار هذه الحروف المقطعة هو ان الله يريد ان يرينا كيف ان هذه المعجزة الخالدة العظيمة ، القرآن ،قد بنيت من حروف الالفباء البسيطة التي تعتبر من ابسط مواد البناء ،وكيف ان هذا الكلام الرائع العظيم قد تألف من هذه الحروف التي يستطيع التكلم بها حتى الاطفال الصغار . لاشك اذن في ان ظهور هذا الامر العظيم من هذه المواد البسيطة اعجاز لايدانيه اعجاز .

هنا يتبادر للذهن ان يسأل : من أية ناحية يكون اعجاز القرآن ؟ أمن حيث البلاغة والفصاحة ،اي من حيث حلاوة عباراته ودخولها الى القلب بنفوذ عجيب ،أم ان هناك جوانب اخرى لاعجازه ؟

الحقيقة هي انك من اي زاوية وجهة نظرت الى القرآن لطالعتك امارات الاعجاز واضحة . من ذلك مثلا :

١ـ الفصاحة والبلاغة : هنا تجد حلاوة الالفاظ والجاذبية العجيبة التي تتجلى لك في المعاني والمفاهيم .

٢ـ المحتوى الرفيع وخاصة العقائد البعيدة عن كل انحراف

٣ـ المعجزات العلمية ،فالقرآن يكشف الستار عن مسائل علمية لم يكن الانسان قد اكتشفها يومذاك .

٤ـ الاخبار عن الغيب والتنبؤ بحدوث بعض الحوادث في المستقبل .

٥ـ ليس فيه تضاد ولااختلاف ولاتشتت .

الفصاحة والبلاغة:

لكل كلام جانبان : " الفاظه " و"محتواه " .عندما تكون الالفاظ والكلمات جميلة ولائقة وتتميز بالانسجام والترابط اللازم وخالية من التعقيد ، ويوصل تركيب الجمل المعنى المراد ايصالا كاملا وتاماً بطريقة مقبولة وجذابة ،قيل عن ذلك الكلام انه فصيح وبليغ .

وفي القرآن يتجسد هذان الجانبان تجسداً لامزيد عليه ، بحيث ان احداً لم يستطع حتى الآن ان يأتي بآيات وسور تضاهي آياته وسوره من حيث الجاذبية والحلاوة والتناغم .

قلنا في درس سابق ان الوليد بن المغيرة ،منتخب مشركي العرب ،هاجت مشاعره وانفعل عند سماع بضع آيات من القرآن ،ولم يتوصل تفكيره العميق الى إلصاق أي تهمة به إلا ان يصفه بالسحر وإلا ان يصف رسول الله بالساحر!

وعلى الرغم من انهم راحوا يكررون إلصاق صفة السحر بآيات القرآن على سبيل الذم والتنديد ، الا ان ذلك كان في الواقع مدحا وتكريما ، اذ ان فيه اعترافا ضمنيا بسيطرة القرآن الخارقة للعادة على السامع ونفوذه الى اعماقه . بحيث انك لاتستطيع ان تفسر ذلك تفسيرا عاديا ، الا ان تقول ان فيه جاذبية غامضة مجهولة .

ولكنهم بدلا من ان يتقبلوا تلك الحقيقة ويعتبروها معجزة فيؤمنوا بها ،انحرفوا عن جادة الصواب وقالوا انها سحر وأساطير .

يذكر لنا التاريخ امثلة كثيرة عن اشخاص من غلاظ خشنين كانوا يفدون على رسول الله صلى الله عليه وآله ،وما ان يستمعوا الى بضع آيات منه حتى تتغير حالهم وتشرق شمس الايمان في قلوبهم ،الامر الذي يدل بوضوح على ان مافي القرآن من فصاحة وبلاغة معجز .

بل اننا في ايامنا هذه نجد العارفين بآداب اللغة العربية كلما كرروا تلاوة القرآن ازداد احساسهم بما فيه من حلاوة ومايثيره فيهم من لذة بحيث انهم لايتعبون من تكرار تلاوته .

تتصف العبارات القرآنية بالدقة المتناهية المحسوبة، فالقرآن عف البيان متين البنيان ،وهو في الوقت نفسه ناطق صريح، وصارم شديد عند الاقتضاء .

ولابد من الاشارة الى ان العرب يومنذ كانوا قمة في الفنون الادبية من شعر ونثر وصناعة كلام ،ومازالت قصائد من الشعر الجاهلي تعتبر من ارفع الشعر ، وكان سوق عكاظ موضعاً يجتمع فيه فطاحل الشعراء كل سنة ينشدون فيه اشعارهم ويتنافسون في اجودها ، ويختارون افضلها طرا ويعلقونها على جدار الكعبة باعتبارها خير قصيدة قيلت في تلك السنة . وعند ظهور الدعوة

الاسلامية كانت هناك سبع قصائد مازالت معلقة على حائط الكعبة، اطلق عليها اسم " المعلقات السبع " .

ولكن بعد نزول القرآن لم يبق لتلك المعلقات أي لون ولا طعم ، فازيلت الواحدة بعد الاخرى وطواها النسيان .

ولقد سعى المفسرون جهد طاقاتهم للاشارة الى دقائق الابداع الالهي العجيبة في القرآن ،فيمكن الرجوع الى تلك التفاسير للتوسع في الاطلاع .[٥]

ان معرفة القرآن توكد ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبالغ حين قال :

" ظاهره انيق وباطنه عميق لاتحصى عجائبه ولاتبلى غرائبه " .

والامام علي امير المومنين عليه السلام ،تلميذ مدرسة القرآن العظيم ،يقول في نهج البلاغة واصفاً القرآن :

" فيه ربيع القلب،وينابيع العلم ، وما للقلب جلاء غيره ".

* * *

فكر وأجب :

١- ماهي فلسفة الحروف المقطعة في القرآن ؟

٢- هل القرآن معجزة من جانب واحد أم من عدة جهات ؟

٣- لماذا اطلق اعداء النبي عليه صفة الساحر ؟

٤- ما الفرق بين الفصاحة والبلاغة ؟

٥- متى كانت " المعلقات السبع " ومامعناها ؟

* * *

الدرس السابع

نظرة القرآن الى العالم

قبل كل شيء ينبغي ان تتعرف على المحيط الذى نزل فيه القرآن على الصعيدين الفكري والثقافي ·

يجمع المؤرخون على ان ارض الحجاز كانت من اكثر بلدان العالم تخلفا بحيث انهم كانوا يعبرون عن سكانها بانهم متوحشون اوشبه متوحشين · كانوا متمسكين بعبادة الاصنام تمسكا شديداً، يصطنعونها من الحجر والخشب باشكال متنوعة ،فكانت تلقي بظلها المشؤوم على كل ثقافتهم ،حتى قيل انهم كانوا يصنعون الاصنام من التمر ويسجدون لها ، ولكنهم اذا مستهم المسغبة أكلوها !

وعلى الرغم من كرههم البنات بحيث انهم كانوا يئدونهن احياء، فانهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله . ويتنزلون بالله الى حد اعتباره انساناً مثلهم ·

كانوا ينتابهم العجب من التوحيد وعبادة إله واحد ·وعندما

دعاهم نبي الاسلام الى عبادة الله الاحد ،قالوا بدهشة :

" أجعل الآلهة الهاً واحداً ان هذا الشيء عجاب" [٦].

وكانوا يلصقون صفة الجنون بكل من يخالف خرافاتهم واساطيرهم المزيفة ويتعرض لمعتقداتهم الواهية .

كان النظام القبلي هو السائد على المجتمع ،حيث المنازعات القبلية كانت على اشدها ، حتى ان نار الحروب لم تخمد يوماً بينهم ،وكثيراً ما اصطبغت ارضهم بحمامات الدم، يفتخرون بالقتل والنهب والسبي .

واذا ظهر بينهم من يعرف القراءة والكتابة اصبح ناراً على علم ، وكان من النادر ان تعثر بينهم على عالم مفكر .

هذا هو المحيط الذي بزغ فيه انسان امي لم يدخل مدرسة ولا رأى معلماً ،ولكنه أتى بكتاب عميق المحتوى الى درجة ان العلماء والمفسرين مايزالون بعد اربعة عشر قرناً مشغولين باستكناه معانيه واستخراج حقائق جديدة منه لاتنتهي .

ان الصورة التي يرسمها القرآن لعالم الوجود ونظامه صورة دقيقة مدروسة ، فيعرض التوحيد باكمل حالاته ، ويعرض اسرار خلق الارض والسماء والليل والنهار والشمس والقمر والنباتات والاشجار والانسان على ان كلامنها آية تدل على وحدانية الله الاحد .

ويتعمق احياناً في اغوار النفس الانسانية ويتحدث عن التوحيد الفطري ،فيقول :

" فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فاذا هم يشركون " [٧]

وقد يسلك سبيل العقل والمنطق لاثبات التوحيد مستنداً الى السير في الآفاق وفي الانفس ،ومذكراً الانسان باسرار خلق

السموات والارض والحيوانات والجبال والبحار ،وهطول الامطار، وهبوب الرياح ودقائق اعضاء الانسان :

" سنريهم آياتنافي الآفاق وفي انفسهم " .[٨]

وعند الكلام على صفات الله يختار اعمقها واجلبها للنظر، فيقول : " ليس كمثله شئ" .[٩] وفي مواضع اخرى يقول :

" هو اللهالذي لاإله الاهو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم.هو اللهالذي لااله إلاهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون .هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم " .[١٠]

ويعبر تعبيراً جميلا عن وصف علم الله و لامحدوديته، فيقول :

" ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم " .[١١]

وعن احاطة الله بكل شي،وحضوره في كل مكان، يقول :

" ولله المغرب والمشرق فاينماتولوا فثم وجه الله" .[١٢]

" وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير " .[١٣]

وعندما يدور الكلام على البعث ويوم القيامة ،يواجه دهشة المشركين وانكارهم بقوله :

" قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل

لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون. أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. إنما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون ".[١٤]

في تلك الايام التي لم يكن فيها قد تم اكتشاف التصوير وتسجيل الاصوات، يقول القرآن بشأن اعمال الانسان:

" يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ".[١٥]

وقد يتحدث عن شهادة اعضاء الإنسان فيقول:

"اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم ".[١٦]

" وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء".[١٧]

ان قيمة العلوم القرآنية وعظمه محتواها وخلوها من الخرافات لاتتضح الا اذا وضعت الى جانب التوراة والانجيل المحرفة كلماتهما للمقارنة بين مافيها، لنرى ماتقول التوراة بشان خلق آدم ومايقول القرآن بهذا الشان.

وماذا تقول التوراة بشان الانبياء، ومايقوله القرآن.

وماتقوله التوراة والانجيل في وصف الله، ومايقوله القرآن في ذلك. عندئذ يتبين الفرق واضحاً بينهما.[١٨]

* * *

فكر وأجب:

١- ماذا كانت خصائص المحيط الذي ظهر فيه القرآن؟

٢- ماذا كان تأثير عبادة الأصنام في افكار الناس؟

٣- ماالفرق بين التوحيد الفطري والاستدلالي؟

٤- كيف يصف القرآن الله ويعرّفه؟ مثّل لذلك.

٥ـ ما أفضل الطرق لمعرفة محتوى القرآنِ ؟

الدرس الثامن

القرآن والاكتشافات العلمية المعاصرة

لاشك ان القرآن ليس كتاباً من كتب العلوم الطبيعية اوالطبية اوالنفسية اوالرياضية .

القرآن كتاب يهدى الانسان ويصنعه ، فهو لا يترك شيئا ضروريا في هذا السبيل إلا وأتى به .

لذلك ليس لنا بالطبع ان نرى في القرآن دائرة معارف عامة، بل لنا ان نجد فيه نور الايمان والهداية والتقوى والانسانية والاخلاق والنظام والقانون ،فهو يضم كل هذه الامور .

غير ان القرآن ،للوصول الى هذه الاهداف ،يشير احيانا الى جانب من العلوم الطبيعية واسرار الخلق وعجائب عالم الوجود وخاصة خلال بحوث التوحيد والاستدلال بنظام الكون ، فيرفع الستار عن بعض اسرار عالم الخلق ويكشف امورا لم يكن احد يعرف عنها شيئا يومذاك وفي ذلك المحيط ، حتى العلماء منهم .

هذه البيانات تجتمع تحت عنوان " معجزات القرآن

العلمية "، نشير الى بعض منها في مايلي :

القرآن و قانون الجاذبية

لم يكن احد قبل (نيوتن) يعرف شيئا عن قانون الجاذبية العام ٠ من المعروف ان (نيوتن) هذا كان يوما جالسا تحت شجرة تفاح ،فانفصلت تفاحة من الشجرة وسقطت على الارض ،فاستولى هذا الحدث الصغير على كل تفكيره وامضى سنوات يفكر في القوة التي جذبت التفاحة اليها ٠ لماذا لم تسقط الى السماء ؟ وبعد سنوات توصل الى وضع قانون الجاذبية الأرضية التي تقول :

" تتجاذب الكتلتان بنسبة طردية مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيا مع مربع المسافة بين مركزي ثقليهما " ٠

على اثر صياغة هذا القانون اتضح وضع المنظومة الشمسية٠

لماذا تدور هذه الكواكب العظيمة كل في مدار حول الشمس ؟ لماذا لاتهرب من هذا المدار وتنطلق في كل اتجاه ؟لماذا لاتتراكم بعض فوق بعض ؟ ماهذه القوة التي تمسك هذه الاجرام في مدارات دقيقة في هذا الفضاء الشاسع ، دون ان تتجاوزها حتى بمقدار رأس الابرة ؟

اكتشف (نيوتن) ان حركة الجسم الدائرية تجعله يبتعد عن المركز ،وقانون الجاذبية يجذبه الى المركز ، فاذا ماتعادلت هاتان القوتان ،القوة الطاردة عن المركز ، والقوة الجاذبة نحو المركز،اى اذا وجدت " الكتلة " و" المسافة " من القوة " الجاذبة الى الداخل " والقوة " الطاردة الى الخارج " مقادير متعادلة ،بقي الجسم يدور في مداره ولا يتعداه ٠

غير ان القرآن قبل اكثر من ألف سنة من اكتشاف هذه القوانين قال في الآية الثانية من سورة الرعد :

" اللّه الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون " .

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله :

" اليس اللّه يقول بغير عمد ترونها ؟ قلت : بلى . قال : ثَمّ عمد لكن لا ترونها " .

أهناك تعبير اوضح وابسط في الادب العربي من هذا القول عن قوة الجاذبية : اعمدة غير مرئية ، ليفهمه عامة الناس ؟

وفي حديث عن الامام علي امير المومنين عليه السلام نقرأ:

" هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الارض مربوطة كل مدينة الى عمود من نور " .

يقول العلماء المعاصرون ان بين نجوم السماء ملايين منها تسكنها كائنات حية وعاقلة ، وان لم يكتشفوا بعد تفاصيلها .

دوران الارض حول نفسها و حول الشمس

يقول التاريخ ان (غاليليو) الايطالي كان اول من اكتشف دوران الارض حول نفسها قبل نحو اربعة قرون ، بينما كان العلماء قبله يؤمنون بنظرية بطليموس المصري القائلة ان الارض هي مركز الكون وان جميع الاجرام الاخرى تدور حولها .

وكان جزاء (غاليليو) على اكتشافه العلمي هذا ان حكمت الكنيسة بتكفيره ،ولم ينج من الموت إلا باظهار الندم على اكتشافه ذاك. غير ان علماء آخرين تابعوا نظريته واكدوها بحيث انها اصبحت اليوم من الامور التي لايختلف فيها اثنان ،بل لقد ثبت بالتجارب الملموسة ان الارض تدور حول نفسها ،وخاصة بعد التحليقات الفضائية الاخيرة .

وعليه فقد فقدت الارض مركزيتها بالنسبة للكون بعد ان تبين اننا كنا من قبل ضحية خطأ حواسنا ، فكنا نخلط حركة الارض بحركة مجموعة الثوابت والسيارات .اننا نحن الذين نتحرك ،وكنا نعتبرها هي التي تتحرك .

على كل حال ،لقد سيطرت نظرية بطليموس نحو ألف وخمسمائة سنة على عقول العلماء . وعند ظهور القرآن لم يكن أحد يجرؤ على القول بخلاف ذلك . ولكننا اذا مارجعنا الى آيات القرآن نجد انه في الآية ٨٨ من سورة " النمل " يتحدث عن حركة الارض فيقول :

" وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون " .

هذه الآية تشير بوضوح الى حركة الجبال مع اننا نراها ساكنة جامدة . ان تشبيه حركتها بحركة السحاب يفيد السرعة مع الهدوء .

اما التعبير عن حركة الارض بحركة الجبال ،فهو لكي يبين اهمية الموضوع ، اذ لاحركة للجبال بغير حركة الارض من تحتها ، أي إن حركتها هي حركة الارض نفسها ، سواء أكان المقصود دورانها حول نفسها ، أم حول الشمس ، أم كليهما .

تصور الآن عصراً كانت فيه جميع المحافل العلمية في العالم والانسان العادي ،يؤمنون بنظرية سكون الارض ودوران الشمس والكواكب الاخرى حولها ،أ لايكون الإخبار بحركة الارض بهذا البيان معجزة علمية ؟ خاصة ان المخبر انسان امي لم يدخل مدرسة، بل انه نشأ في محيط متخلف لامدرسة فيه ولاتعليم .أفلا يكون هذا دليلاعلى كون القرآن كتابا سماوياً ؟

* * *

فكر وأجب :

١ـ ماالمقصود بمعجزات القرآن العلمية ؟

٢ـمن اكتشف قانون الجاذبية ،ومتى كان ذلك ؟

٣ـ في اية آية يخبر القرآن عن قانون الجاذبية العام ، وكيف يعبر عن ذلك ؟

٤ـ لمن فرضية سكون الارض ،ومن الذي اكتشف حركتها ،وكم ظلت تلك الفرضية تسيطر على العلماء ؟

٥ـفي اية آية يخبر القرآن عن حركة الارض ،وكيف يعبر عن ذلك ؟ .

* * *

الدرس التاسع

دليل آخر على صدق نبوة نبي الاسلام

هناك طريق آخر غير طلب المعجزة لاثبات صحة دعـــوى النبوة أوعدمها ،وهو طريق يعتبر بحد ذاته دليلا حيا آخر للوصول الى الهدف المنشود ،وذلك هو دراسة القرائن التالية وتوفر عـدد منها في مدعي النبوة :

١ـ مميزاته الاخلاقية وتاريخه الاجتماعي .
٢ـ الظروف التي تسود المحيط الذي ظهرت فيه الدعوة.
٣ـ الظروف الزمانية .
٤ـ محتوى الدعوة .
٥ـ خطط الدعوة التنفيذية ووسائل الوصول الى الهدف .
٦ـ مقدار الأثر الذي تتركه الدعوة في المحيط.
٧ـ مقدار ايمان صاحب الدعوة بهدفه ومدى تضحيته فـــي سبيله .
٨ـ عدم التساوم مع الاعداء لحرفه عن طريقه .

٩- سرعة تأثير الدعوة في الرأي العام .

١٠- دراسة الذين يؤمنون بالدعوة وطبقتهم الاجتماعية.

علينا ان ندرس هذه الامور دراسة دقيقة وأن ننظم ملفاً خاصاً بذلك بحيث يسهل علينا معرفة صدق مدعي النبوة اوكذبه .

والآن بعد الاخذ بنظر الاعتبار النقاط السابقة ،نباشر باجراء دراسة دقيقة ومكثفة عن شخص نبي الاسلام ،على الرغم من ان هذا يتطلب المجلدات الكثيرة :

١- فيما يتعلق بمميزات نبي الاسلام الاخلاقية ،فان كتب التاريخ التي كتبها المحبون والكارهون تؤكد لنا انه كان على درجة من الطهارة والنقاء والاستقامة بحيث انهم في ذلك العصر الجاهلي وصفوه بالصادق الامين . يقول التاريخ : عندما اراد الهجرة الى المدينة طلب من علي عليه السلام ان يؤدى عنه الامانات الى اصحابها .

اما شجاعته وثباته وحسن خلقه وسعة صدره وفتوته وتضحياته فيمكن التعرف عليها من خلال حروبه وفترات سلمه . وعلى الاخص نجد ان العفو العام الذي اصدره بالنسبة لاهل مكة بعد فتحها واستسلام اعدائه الالداء للمسلمين خير دليل حي على خلقه النبيل .

٢- اننا نعلم ان الناس العاديين ،بل حتى النوابغ منهم، يصطبغون بصبغة المحيط الديني الذي يعيشون فيه شاؤوا أم أبوا ، وان يكن اصطباغهم على درجات متفاوتة .

تصور ، اذن ، رجلا عاش اربعين سنة في محيط كله جهل وعبادة اصنام ،وتسوده ثقافة الخرافات والاباطيل ،كيف يمكن له أن يدعو الى التوحيد الخالص،وان يبادر الى مصارعة مظاهر الشرك كلها ؟ كيف يمكن ان يصدر عن محيط جاهل اعلى التجليات

العلمية التي تعشي الابصار ؟ أيمكن ان نصدق ان ظاهرة عجيبة كهذه يمكن ان تظهر الى الوجود بغير ان تكون مؤيدة من الله من ما وراء الطبيعة ؟

٣- علينا ان نعرف العصر الذي ظهر فيه النبي . لقد كان عصر القرون المتوسطة ،عصر الاستبداد والمحاباة والامتيازات الظالمة ، عصر العنصرية والطبقية . تعال نستمع الى وصف ذاك العصر من لسان علي بن ابي طالب عليه السلام ، اذ يقول :

" بعثه والناس ضلّال في حيرة ، وحاطبون في فتنة ، قد استهوتهم الاهواء ،واستنزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، حيارى في زلزال من الامر ، وبلاء من الجهل ..." [١٩]

فتصور ديناً شعاره المساواة بين الناس والقضاء على التبعيض العرقي والطبقي : " انما المؤمنون اخوة " كيف ينسجم مع مثل ذلك العصر ؟

٤- محتوى دعوته التوحيد من جميع الجهات الغاء الامتيازات الظالمة ،توحيد عالم الانسانية ،مكافحة الظلم والجور ،اقامة حكومة عالمية ، الدفاع عن المستضعفين ،واعتبار التقوى والطهارة والامانة من اهم معايير القيم الانسانية .

٥- بالنسبة للخطط التنفيذية لم يُجز ابداً المقولة القائلة ان الغاية تسوّغ الواسطة" للوصول الى اهدافه المقدسة . كان يقول:

" ولايجر منكم شنآن قوم على ان لاتعدلوا إعدلوا " . [٢٠]

اما علو اخلاقه فيتضح من تعليماته في التزام المبادئ الاخلاقية في ميادين الحرب ،عدم الاعتداء على غير المقاتلين ، الامتناع عن قطع شجرة ،وعن تلويث مياه شرب العدو ،ومعاملة

الاسرى بكل محبة ، وعشرات اخرى من امثال هذه التعليمات .

٦- مقدار تاثير دعوته في ذلك المحيط كان من الشدة بحيث ان الاعداء كانوا يخشون الاقتراب منه ، خوفاً من ان ينجذبوا اليه، فكانوا اذا اخذ يتكلم يثيرون الجلبة والضوضاء لئلا يسمع الناس مايقول فتنجذب اليه قلوبهم العطشى . ولكي يموهوا على الناس تأثيره المعجز وصفوه بالساحر الذي ينطق بالسحر ،وهذا بذاته اعتراف ضمني بقوة تأثير دعوته الخارقة للعادة .

٧- أما مقدار تضحيته في سبيل دعوته ،فلقد كان أشد الناس إيماناً بهذا الدين الذي عهد اليه به .

في بعض الحروب التي فرّ منها الجديدون على الاسلام ،وقف هو بثبات ، ولم ينفع معه ترغيب الاعداء ولاترهيبهم ،بل ظل ثابتا على دينه ، لايظهر عليه شي من الضعف والتردد .

٨ - كثيراماسعوا لجره الى التساوم مع المنحرفين،ولكنه لم يتزحزح قيد شعرة عن موقفه ،بل قال :

والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامرماتركته " .

٩ - لم يكن تأثير دعوته في الرأي العام عجيباً فحسب ، بل كانت سرعة انتشارها خارقة للعادة ايضا .

ان الذين قرأوا ماكتبه المستشرقون الغربيون حول الاسلام لابد انهم لاحظوا ان اولئك يبدون دهشتهم من سرعة انتشارا لاسلام من هؤلاء ثلاثة من الاساتذة الغربيين الذين كتبوا عن تاريخ حضارة العرب يعترفون بهذه الحقيقة دون مواربة ،ويقولون :

" على الرغم من البحوث والدراسات التي اجريت لمعرفة سبب انتشارا لاسلام السريع في العالم بحيث انه سيطر على جانب واسع من العالم في اقل من

قرن ، فإن القضية مازالت غامضة "

نعم ،انه للغز غامض !ترى كيف استطاع الاسلام في ظروفه تلك ان ينفذ الى قلوب ملايين الناس بتلك السرعة العجيبة ،وان يهضم في ذاته مختلف الحضارات ويخلق حضارة جديدة ؟ !

١٠ـ نصل اخيراً الى اعدائه ،فقد كانوا من رؤساء الكفر والظالمين المستكبرين والكانزين للاموال والاناني ين ،في الوقت الذي كان فيه الذين آمنوا به،في غالبيتهم ، فتية طهرت قلوبهم فراحوا يطلبون الحق ، وهم جميع الفقراء المحرومين والعبيد، اناس ماكان لهم من رأسمال سوى الطهارة وصفاء النفس والتعطش الى اللّه .

من مجموع هذه البحوث ـ التي يطول شرحها وتفصيلها ـ يمكن ان نستنتج ان دعوته دعوة إلهية ،دعوة انبعثت مما وراء الطبيعة ، وانه قد بعثه اللّه لينقذ الانسان من الفساد والضياع والجهل والشرك والظلم والجور .

* * *

فكر وأجب :

١ـ هل هناك طريق لمعرفة صدق النبي غير طريق المعجزة؟ ماهي ؟

٢ـ ماهي القرائن التي نقول اننا يجب ان نجمعها ،وما النقاط التي يجب ان نوكد عليها ؟

٣ـ بين ماتعرفه عن العرب خصوصا والعالم عموما في العصر الجاهلي .

٤ـ هل يمكن معرفة شيء من المقارنة بين حال العرب قبل الاسلام وبعده ؟

٥ـ لماذا اتهم اعداء الاسلام النبي بالسحر ؟

الدرس العاشر

نبي الاسلام خاتم الانبياء

معنى الختم

نبي الاسلام آخر انبياء الله ،فيه اختتمت سلسلة النبوة، وهذا من " ضرورات الدين الاسلامي ".

والضرورة هنا تعني ان من يدخل صفوف المسلمين سرعان مايدرك ان جميع المسلمين يحملون العقيدة نفسها وهي من الامور الواضحة والمسلّم بها عندهم . فمثلما ان كل شخص له تعامل مع المسلمين يعلم انهم يؤكدون مبدأ " التوحيد" يعلم ايضا انهم متفقون جميعاً على ان نبي الاسلام هو خاتم الانبياء ، وليس هناك أي مسلم يتوقع مجيء نبي جديد .

والواقع ان قافلة البشرية قد طوت خلال مسيرتها نحو التكامل مراحل عديدة ومختلفة الواحدة بعد الاخرى حتى بلغت مرحلة من الرشد والتكامل تستطيع معها ان تقف على قدميها ، أي انها تستطيع ان تحل جميع مشكلاتها باتباع التشريعات الاسلامية الجامعة .

وبعبارة اخرى :ان الاسلام هو القانون النهائي الشامل في مرحلة بلوغ البشرية وتضجها ،فهو من حيث العقائد بلغ الكمال في محتواه ،ومن حيث التطبيق العلمي بلغ اعلى مراحله في التنظيم بحيث انه يسد حاجات الانسان في كل عصر وزمان .

الدليل على ان النبي خاتم الانبياء

هنالك لاثبات هذا القول أدلة عديدة ، أهمها مايلي :

١- ضرورة هذه القضية : قلنا ان من يتصل بالمسلمين في أي مكان من العالم يدرك انهم يعتقدون بأن نبي الاسلام هو خاتم الانبياء ،وعليه فاذا تقبل احد الاسلام عن طريق الدليل والمنطق، فلا مندوحة له من ان يقبل بمبدأ اختتام النبوة بنبي الاسلام .وبما اننا في الدروس السابقة اثبتنا صحة هذا الدين وصدقه بالأدلة الكافية ،فلابد من القبول بأن مبدأ ختم النبوة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله من ضرورات هذا الدين .

٢- في القرآن آيات تؤكد كون النبي هو خاتم الانبياء،منها:

" ماكان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" [٢١]

وقد نزلت هذه الآية في الوقت الذى راج فيه بين العرب تبني الابناء ، اذ كانوا يتبنون ابناء ابوين آخرين ويتخذونهم ابناء حقيقيين لهم ضمن افراد الاسرة ، يرثونهم ومحرم عليهم .

غير ان الاسلام ألغى هذه العادة الجاهلية ،وقال ان الابن بالتبني لايمكن ان يكون كالابن الشرعي من حيث الحقوق القانونية، بما فيهم " زيد " الذي كان نبي الاسلام قد تبناه ،فجاءت الآية تقول للمسلمين انكم بدلا من ان تصفوا النبي بكونه أبا لاحد ،

صفوه بصفتيه الحقيقيتين : كونه رسول اللّه ،وكونه خاتم النبيين . وهذا يدل على ان هاتين الصفتين كانتا من الامور المسلم بهما بين المسلمين.

السؤال الوحيد الذي يطرأ هنا هو ما المعنى الحقيقي للختم ؟ "الخاتم من مادة " ختم " التي تعني بلوغ نهاية الشيء، مثل الختم الذى كان يوضع في نهاية الخطاب المكتوب . ومن هنا وضعت كلمة " الخاتم " على مايلبس في الاصابع ، لان فص الخواتم كان ينقش عليه اسم اورسم ويستعمل لختم المكاتبات في ذلك الزمان ،وكل ختم كان يخص شخصا بعينه .

جاء في الروايات الاسلامية : عندما اراد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله ان يكتب الرسائل لملوك العصر وزعمائه يدعوهم الى الاسلام ، قيل له ان من عادة ملوك العجم انهم لايقبلون كتابا مالم يكن فيه ختم صاحبه .وذلك لان وسائل النبي حتى ذلك الحين كانت خلوا من كل ختم. فامر ان يحفروا "لااله الااللّه محمد رسول اللّه " على فص خاتم ،واخذ يختم به رسائله منذئذ .

وعليه ،فان المعنى الاصلي للخاتم هو وضع النهاية والاختتام .

٣ـ هنالك احاديث كثيرة تبين كون النبي كان آخرا لانبياء وخاتمهم ، منها الحديث المعتبر المروي عن جابر بن عبد اللّه الانصارى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله انه قال :

" مثلي بين الانبياء كمثل من بنى داراً كاملة لاتنقصها إلاآجرة واحدة ، فمن دخلها اعجب بجمالها ولكن يعيبها هذا النقص . فانا تلك الآجرة الناقصة والانبياء ختموا بي " .

وقد قال الامام الصادق (عليه السلام) :

" حلال محمد حلال ابدا الى يوم القيامة وحرامه حرام ابدا الى يوم القيامة " [٢٢].

وثمة حديث يذكره الشيعة والسنة انه قال لعلي عليه السلام

" انت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لانبي بعدي " .

* * *

ثمة تساؤلات تبرز في موضوع ختم النبوة لابد من الاشارة اليها :

١- يقول بعضهم ان ارسال الانبياء فيض الهي عظيم فلماذا حرم اناس هذا الزمان من هذا الفيض ؟ لماذا لايكون لاهل هذا الزمان هاد وقائد جديد يهديهم ويقودهم ؟

ان الذين يقولون هذا قد غفلوا ، في الحقيقة ،عن نقطة مهمة ، وهي ان حرمان عصرنا لم يكن لعدم جدارتهم ،بل لان قافلة البشرية في هذا العصر قد بلغت في مسيرتها الفكرية وفي وعيها مرحلة تمكنها من ادامة مسيرتها باتباع الشريعة .

ولنضرب هنا مثلا :

أولو العزم هما لانبياء الذين جاءوا بدين جديد وبكتاب من السماء ،وهم خمسة (نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم السلام . وقد ظهر هولاء كل في فترة معينة من الزمان ،وسعوا لهداية البشر ووضعهم على طريق التكامل ،فاوصل كل منهم القافلة البشرية من مرحلة الى المرحلة التي تليها وسلمها الى النبي الذي يليه من أولي العزم ،الى ان بلغت القافلة من مسيرتها الى

الطريق النهائي ، كما بلغت القدرة التي تمكنها من مواصلة مسيرتها وحدها نهايتها ، مثلها مثل التلميذ الذى يطوى مراحل الدراسة الخمس حتى يتخرج في الكلية (وبالطبع لايعني هذا انه انتهى من التعلم ، بل يعني اهليته للاستمرار بمفرده دونما حاجة الى معلم اومدرسة)٠ وهذه المراحل هي : المرحلة الابتدائية، المرحلة المتوسطة ، المرحلة الاعدادية ، المرحلة الجامعية، واخيرا مرحلة الحصول على الدكتوراه ٠

فاذا لم يواصل دكتور الدراسة في الجامعة ،فلا يعني هذا انه ليس جديراً بالدراسة ،بل يعني ان لديه من المعلومات مايمكنه من حل مشكلاته العلمية با لاستعانة بها ، ومن الاستمرار في مطالعاته ومواصلة تقدمه ٠

٢ـ لما كان المجتمع البشرى دائم التغير ،كيف يمكن ان تكون التشريعات الاسلامية الثابتة قادرة على مواجهة تلك التغيرات ؟

في الجواب نقول : في الاسلام نوعان من التشويعات :نوع هو اشبه مايكون بصفات الانسان الثابتة ،فهو ايضاً ثابت لايتغير، مثل لزوم الاعتقاد بالتوحيد ،وتطبيق العدالة ،ومكافحة كل انواع الظلم والتعسف والعدوان وامثالها ٠

اما النوع الآخر من التشريعات فيتألف من مجموعة من القواعد الكلية العامة التي تتخذ اشكالاً جديدة بحسب تغير مواضيعها بحيث انها تسد الحاجة في كل عصر وزمان ٠

فمثلا هنالك مبدأ عام في الاسلام يقول : "اوفوابالعقود" لاشك ان تعاقب الازمان يخلق انواعا جديدة من العقود الاجتماعية والتجارية والسياسية المفيدة التي يستطيع الانسان ان يعقدها مع اخذ المبدأ الاصلي بنظر الاعتبار ٠

هنالك قاعدة كلية اخرى هي " قاعدة لاضرر " التي تعني ان كل حكم اوقانون يسبب الضرر للفرد اوالمجتمع يجب ان يتحدد بحدود. لاحظ كيف ان هذه القاعدة الاسلامية العامة تمنع الاضرار بالآخرين وتحل المشكلات .

ان في الاسلام الكثير من امثال هذه المبادئ الكلية العامة التي يمكن بتطبيقها حل اعقد المشكلات التي قد تبرز في الحياة الاجتماعية .

٣- لاشك اننا في المسائل الاسلامية بحاجة الى القائد وعند عدم وجود النبي وغياب وصيه تتوقف قضية القيادة، كما ان اختتام النبوة بنبي الاسلام لايكون معه انتظار لنبي آخر، أفلا يعني هذا خسارة للمجتمع الاسلامي ؟

في الجواب نقول : هذه الحالة ايضا قد تم الاعداد لها من جانب الاسلام ، فعن طريق " ولاية الفقيه " يمنح الفقيه الجامع للشروط من علم وتقوى ورؤية سياسية على مستويات عالية حق القيادة . كما ان اسلوب معرفة مثل هذا القائد قد بينه الاسلام في قوانينه . وعليه فليس هناك مايدعو الى القلق من هذه الناحية.

وبناء على ذلك فان مبدا " ولاية الفقيه " استمرار لخط الانبياء واوصيائهم . ان قيادة الولي الفقيه الجامع للشروط دليل على ان المجتمع الاسلامي لم يترك بدون رعاية وهداية[٢٣].

* * *

فكر وأجب :

١- ما المعنى الدقيق لكلمة " خاتم " ؟

٢- كيف نستدل من آيات القرآن على ان النبي خاتم الانبياء؟

٣- لماذا حرم الناس في عصرنا من ظهور الانبياء بينهم ؟

٤ـ ماانواع القوانين الاسلامية ،وكيف تسد حاجات كل زمان ؟

٥ـ هل يمكن للمجتمع الاسلامي ان يبقى بدون قائد ؟ كيف حلت مسألة القيادة الاسلامية في عصرنا ؟

* * *

الهوامش

١ـ سورة " النساء" الآية ٥٩ .

٢ـ سورة " الاسراء " الآية ٨٨ .

٣ـ سورة " هود " الآية ١٣ .

٤ـ سورة " البقرة " الآية ٢٣ .

٥ـ يمكنكم الرجوع الى " تفسير نمونه " بهذا الخصوص .

٦ـ سورة " ص " الآية ٥ .

٧ـ سورة " العنكبوت " الآية ٦٥ .

٨ـ سورة " فصلت " الآية ٥٣ .

٩ـ سورة " الشورى " الآية ١١ .

١٠ـ سورة " الحشر " الايات ٢٢ ـ ٢٤ .

١١ـ سورة " لقمان " الآية ٢٧ .

١٢ـ سورة " البقرة " الآية ١١٥ .

١٣ـ سورة " الحديد " الآية ٤ .

١٤ـ سورة " يس " الآيات ٧٨ ـ ٨٢ .

١٥ـ سورة " الزلزلة" الآية ٤ـ٥ .

١٦- سورة " يس " الآية ٦٥ .
١٧- سورة "فصلت " الآية ٢١ .
١٨- لمزيد من التوضيح راجع كتاب " رهبران بزركه " ..
١٩- نهج البلاغة ،الخطبة ٩٥ (اعداد صبحي الصالح) .
٢٠- سورة " المائدة " الآية ٨ .
٢١- سورة " الاحزاب " الآية ٤٠ .
٢٢- " اصول الكافي " ج ١ ص ٥٨ .
٢٣- لمزيد من التوضيح راجع كتابنا " طرح حكومت اسلامي ".

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
الدرس الاول	
قصور علمنا	٧
الحاجة الى التعلم	٩
الحاجة الى القائد اجتماعيا واخلاقيا	١١
الدرس الثاني	
الحاجة الى الانبياء كمشرعين	١٣
من هو خير المشّرعين ؟	١٤
من الذى تتوفر فيه هذه الشروط	١٦
العلاقة بين التوحيد والنبوة	١٧

الدرس الثالث

الصيانة من الاثم والخطأ ٢١

العصمة مدعاة للفخر ٢٤

الدرس الرابع

افضل الطرق لمعرفة النبي ٢٧

بعض الامثلة الواضحة ٢٨

المعجزات ليست خرافات ٢٩

اختلاف المعجزات عن خوارق العادات الاخرى ٣٠

الدرس الخامس

اعظم معجزة لنبي الاسلام ٣٣

كيف عجزوا عن قبول التحدى ٣٤

حكاية الوليد بن المغيرة ٣٥

الدرس السادس

لم الحروف المقطعة ؟ ٣٩

الفصاحة والبلاغة ٤٠

الدرس السابع

نظرة القرآن الى العالم ٤٣

الدرس الثامن

القرآن والاكتشافات العلمية المعاصرة ٤٦

القرآن وقانون الجاذبية ٥٠

دوران الارض حول نفسها وحول الشمس ٥١

الدرس التاسع

دليل آخر على صدق نبوة نبي الاسلام ٥٥

الدرس العاشر

معنى الختم ٦١

9088

الدليل على ان النبي خاتم الانبياء ٦٢
الهوامش ٦٨

صندوق البريد ۱۳۶۱ ـ ۱۵۸۱۵
ایران ـ طهران

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
SEPT.-OCT. 1992
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 088635287